النقد الأدبي في عهد الخلفاء الراشدين

دكتور عبدالصبور فخرى

أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة كابل

ملخص المقال باللغة العربية

يتناول هذا البحث الآتي: النشاط الشعري والأدبي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث يهتم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) بسماع الشعر و تعليقاته على الشعراء و تفضيله شاعرا على غيره، كما يتناول أسباب تكوين الملكة النقدية لدى هذا الخليفة العظيم و علل اهتمامه بالشعر سواء في حياته الجاهلية أو بعد اعتناقه الإسلام. وقد قسم الكتاب والمهتمون بدراسة الشعر و الأدب في هذا العصر نقد عمر بن الخطاب رضي الله عنه للشعر إلى قسمين وهما: نقده للشعر من ناحية الشكل ونقده له من ناحية المعنى. ونقد الشكل مشتمل على: سلامة العربية من ناحية المعنى و مناسبته لقواعد اللغة والتأكيد على الاحتياط من الوقوع في اللحن، وأنس الألفاظ و بعدها عن المعاظلة والتعقيد، والوضوح والإبانة، وأن تكون الألفاظ بقدر المعاني، وإبراز جمال اللفظة حين تستخدم في موقعها المناسب، وحسن التقسيم . وأما نقده للمضمون فينقسم إلى: الصدق في التعبير والحكم، والجدة والابتكار، والموائمة للمقاييس الخلقية، و الموضوعية، الانطلاق من روح الإسلام وعقيدته. ثم تناولنا آراء أبي بكر الصديق رضي الله عنه حول الشعر والشعراء وبيان ذوقه الأدبي، فبعد ذلك ذكرنا رؤية الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حول الشعر، وأخيرا تعرضنا لآراء و أفكار الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حول الشعر مما يدل على عمق بصيرته وسعة معلوماته و ذوقه النقي معرفته لأنواع الشعر .

المقدمة

كان عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مليئا بالنشاط الأدبي والذي يؤيد هذا الرأي هو أن معظم المقاييس النقدية الأدبية التي تتعلق بصدر الإسلام قد ظهرت في عهده، فمن هنا جعلنا دراسة النقد في عهده مستقلة عن بقية عهود الخلفاء الراشدين، فقررنا أن ندرس عهده لوحده ثم نرجع لدراسة المقاييس النقدية عند كل من الخلفاء الثلاثة الآخرين.

يظهر من الأخبار و تاريخ الخلفاء أن الحركة الشعرية كانت نشطة في المدينة فى هذا العهد و لاسيما في أيام عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– حيث لا يخلو كتاب في التاريخ الأدبي العربي الذي اهتم بهذا العهد من ذكر عمر بن الخطاب وأن انتشار الآراء النقدية في زمنهم دليل على وجود السماع، أو الرواية. رغم أن

كتب الأدب لم تعتمد على أسانيد الموثوقين من الرواة، و لكنها هي المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التي تتصل بالخلفاء الراشدين، والصحابة بعامة، إلا أن بعض الأراجيز التي كانت تردد على الألسنة في العهد النبوي روتها كتب الحديث أيضا، نحو أبيات للنابغة الجعدي، و أمية بن أبي الصلت، وحسان بن ثابت وغيرهم. فأما المراجع في هذا الباب من كتب الأدب غنية وكثيرة .

سماع الشعر :

كان عمر رضي الله عنه أكثر الخلفاء الراشدين رغبة واهتماما لسماع الشعر وتقويمه كما كان أكثرهم تمثلا به[1]، قيل: كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر[2]، وذلك بسبب كثرة ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من محفوظ الشعر قديمه ومعاصره أنه– رضي الله عنه – كان يملك حافظة وقادة ومستوعبة و مصنفة، إذ كان الشعر على طرف لسانه ما يناسب وقائع يومه في بديهة حاضرة، فكان يستشهد بالأبيات الشعرية في المناسبات الخاصة بما يناسبها.

فمن هنا نستطيع أن نحكم على أن عمر -رضي الله عنه- كان مرهف الحس، وحاضر الذهن، ورقيق الشعور، وسريع الفهم، يتذوق الشعر، ويرويه ويبدي فيه رأيا صائبا بيد أنه لم يكن شاعرا.

كان عمر –رضي الله عنه– يحب من الشعر ويفضل ما يعبر عن جوهر الحياة الإسلامية، ويكون بعيدا عن الرذائل الأخلاقية والقول النابي، ويصور مبادئ الدين الإسلامي، و لا تتعارض معانيه مع معاني الدين الإسلامي الجديد أو تغاير قيمه .وكان يحث المسلمين على تعلم الشعر الجميل، فيقول:" تعلموا الشعر؛ فإن فيه محاسن تبتغى، و مساوئ تتقى، و حكمة للحكماء و يدل على مكارم الأخلاق".[3]

---

[1] – السيد أحمد الهاشمي (2014م)، جواهر الأدب، دار مكتبة المعارف، بيروت– لبنان، ج2ص104.

[2] – الجاحظ، أبوعثمان عمروبن بحر، (1968م) البيان والتبيين، ط1، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت لبنان، ج1ص 241.

[3] – السمعاني، عبيدالكريم بن محمد بن منصور أبوسعد التميمي، (1401هـ – 1981م)، إدب الإملاء والاستملاء، ط1، تحقيق: ماكس فايسفايلر، دارالكتب العلمية، – بيروت، لبنان، ج9ص 71، أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – 1417 هـ – 1997م، تحقيق: دكتور يوسف على طويل، ط1، ج1ص34.

يحسب عمر– رضي الله عنه – الشعر مفتاحا للقلوب، ومحركا لمشاعر الخير في الإنسان، فيقول:"أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته، يستعطف بها قلب الكريم، و يستميل بها قلب اللئيم"[4].

يظهر حرص عمر على الشعر الجاهلي شديدا، لما لذلك من صلة بكتاب الله حين يقول: "عليكم بديوانكم لا تضلوا"، فقال له سامعوه: وما ديواننا؟ قال :" شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، و معاني كلامكم"[5].

فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرض الناس على تعلم الشعر ذي المعاني الجميلة والمفاهيم الصادقة التي تدل الفرد إلى الصواب وتملأ قلبه من الحكم والفضائل، فضلا عن أنه يؤثر على النفس تأثيرا بالغا حتى يؤدي إلى التغيير في نفسية الشخص وتوجهاته ويقلب أفكاره ويجعل الأمور عند الناس على ضد ما كان عليه من قبل، هذا بالإضافة إلى أنه عون على فهم القرآن الكريم فهما صحيحا لأنه نزل باللغة التي كانت سائدة آنذاك وهي لغة العصر الجاهلي.

قصة عمر مع الحطيئة و الزبرقان بن بدر :

روي أن الشاعر الحطيئة هجا الزبرقان بن بدر التميمي بطلب من بغيض بن عامر بن شماس بن لؤي بن جعفر أنف الناقة في قصيدة طويلة و قد ذكر في بعضها:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

ولما وصل هذا الهجاء إلى الزبرقان بن بدر فرفع الهجاء إلى عمر -رضي الله عنه-، فشكى إليه فعل الحطيئة، فطلب عمر حسان بن ثابت –رضي الله عنهما– كي يستشيره في الأمر فأشار حسان أنه هجاه شر هجاء، وقال:" نعم وسلح عليه "[6] فقام عمر بسجن الحطيئة حتى يتوب ولا يتعرض لحرمات المسلمين ولا يقول فيهم ما يدل على استهانة أمرهم واستحقارهم وسخريتهم[7].

---

[4] – نايف، معروف (الدكتور)، الأدب الإسلامي في عهد النبوة، دار النفائس، بيروت، لبنان، بلا تاريخ، ص171.

[5] – الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبوالقاسم(1404هـ – 1983م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ج7ص129.

[6] – أبوالفرج الأصبهاني، الأغاني، ج2ص171.

[7] – العقاد، عباس محمود، عبقرية عمر، المكتبة العصرية، بيروت، لا ت، ص 87.

ولما أحس الحطيئة بمرارة السجن أخذ يستعطف عمر بأبيات ينفي ما نسب إليه ثم استعطفه ثانية بأبيات مؤثرة رائعة منها الأبيات الآتية:

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ ... زُغْبِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

ألقيتَ كاسِبَهم في قعرِ مُظْلِمَةٍ ... فاغفرْ عليكَ سلامُ الله يا عمرُ

أنت الإمامِ الذي من بعدِ صاحبهِ ... ألقَى إليك مقاليدَ النُّهَى البَشَرُ

لم يُؤْثِروكَ بها إذ قدَّموك لها ... لكن لأنفسِهم كانتْ بكَ الأُثَرُ [8]

فلما سمع عمر رضي الله عنه هذه الأبيات من الحطيئة فلان له قلبه و تركه ولكن أخذ عليه عهدا ألا يتعرض لأعراض المسلمين، فانتهى الحطيئة عن الهجاء في زمن عمر –رضي الله عنه–.[9]

نقل الرواة أن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– كان يعاقب على شعر الهجاء، وليس الأمر كذلك فحسب، و إنما كان يعاقب على أنواع أخرى من الشعر منها :التعرض لأعراض المسلمين، و إثارة الشحناء و البغضاء بين المسلمين والتعرض لنساء المسملين.[10]

عمربن الخطاب و النقد الأدبي:

معظم الآراء التى نقلت عن عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– حول الأدب وأحكامه النقدية على الشعر و الشعراء وعلى نصوص أدبية كثيرة ترجع إلى عهد خلافته أي السنوات العشر الأخيرة من حياته وهي آثار تصور في جملتها مدى تقديره للأثر الأدبي عندما تكتمل له نظرية الكمال التي يراها عمر والتي هي لديه نتاج ثقافة العمر في تلك المرحلة الناضجة.

العوامل التي أدت إلى تكوين الملكة النقدية لدى عمر بن الخطاب:

ينبغي أن نحيط بالروافد التي أصقلت حس عمر بن الخطاب النقدي التي نمت ملكة النقد عنده واضعين في الاعتبار حياته بشطريها الجاهلي والإسلامي على هذا النحو:

---

[8] - الأصبهاني، الأغاني، ج2ص171.

[9] - المصدر السابق، ج2ص179.

[10] – واضح الصمد، (الدكتور)، أدب صدر الإسلام، لا ط، لا ت، 92و93.

أ –كان عمر في جاهليته واحدا من المسؤولين عن الحفاظ على القيم الجاهلية، و كانت له مكانته في قريش، و قريش آنذاك محط أنظار العرب، وملتقى أفئدتهم، وكان مكانة عمركذلك في الإسلام وفي عصر الخلافة بشكل خاص.

ب –كان عمر خبيرا بالشعر العربي جاهليه و إسلاميه، مستوعبا لما قاله المشركون، والمرتدون، و أعداء الإسلام من شعر ضد هذا الدين الحنيف، كما كان حافظا لكثير من الشعر الجاهلي ولجميع الشعر الذي قيل في صدر الإسلام من الشعراء المعاصرين له.

ج– كان عمر عليما بأحوال العرب في الجاهلية والإسلام عقيدة و تاريخا و أنسابا و سلوكا و علما و قد أنار له علمه بهذه الأشياء طريق نقد الكلام و إبداء الرأي فيه .

د– حرص عمر منذ نشأته على غشيان المجالس الأدبية التي لم تخل من المسامرة و إنشاد الشعر و مطارحة الأدب و تذوقه و إبداء الرأي فيه، حتى إذا أسلم عمر، أصبح يعتبر مجالسة الرجال الذين ينتقون أطايب الحديث، كما ينتقي أطايب الثمر إحدى ثلاث ترغبه في الدنيا بعد الصلاة، و الجهاد في سبيل الله، كما كان عمر واحدا ممن يسامر النبي –صلي الله عليه وسلم– و قد أقام وقت خلافته رحبة في ناحية المسجد سميت البطحاء، وكان يرتادها محبو الشعر وطلابه[11].

هـ– كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه القدح المعلى، والنظر الثاقب، والألمعية الهادفة و الذكاء الخارق المصحوب بالإلهام، والشفافية المبصرة، مما يجعله يصيب المعنى فلا يكاد يخطئه، و هو بجانب ذلك موفور الإحساس بما يقرأ، أو يسمع، شديد التذوق للنص الأدبي، وما احتوى عليه من قيم جمالية، أو شعورية، لفرط إحساسه به، وإدراك كنهه وغاياته، فقد كان تأخذ المعاني الهادفة بمجامع قلبه، فترضى بها نفسه ويفصح عن إعجابه بها، و تقديره لها، فقد روي أن متمما بن نوي رثى أخاه مالكا، الذي لقي حتفه على يدي جنود خالد بن وليد في حروب الردة، فلما انتهى متمم إلى قوله:

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه حلو شمائله عفيف المئزر

[11] – أبوالنصر، محمد أحمد، (1411هـ – 1991م) عمر بن الخطاب، دار الجيل، بيروت لبنان، ص244.

قام إليه عمر فقال:" لوددت أني رثيت أخي زيدبن الخطاب بمثل ما رثيت به مالكا أخاك!" فقال له :يا أباحفص ! والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته .فقال عمر :"ما عزاني أحد بمثل تعزيتك"[12].

ومن هذا المنطلق في فهم النص و تقدير حيويته، كان عمر يرتفع بقيمة النص الأدبي البليغ، ويسمو به إلى منزلة لا تدانيها قيمة كنوز الدنيا الفانية .روي عنه رضي الله عنه أنه قال لبعض ولد هرم بن سنان:أنشدني بعض ما قال فيكم زهير، فأنشده فقال:"لقد كان يقول فيكم فيحسن!" فقال :يا أمير المؤمنين! "إنا كنا نعطيه فنجزل"، فقال عمر:" ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم"[13].

هذا الكلام يدل على أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يدقق النظر في شعر زهير ولم يكن نقده وإصدار حكمه عن ارتجال بل كان يعرف ذلك من قبل ولذلك طلب من ذلك الشخص أن يقرأن بعض أشعار زهير فيهم، ولما قرأ له فقال قولته:" لقد كان يقول فيكم فيحسن"، فإن هذا الحكم ينم عن سابق عهد له بتلك الأشعار و الدقة فيها.

---

[12] – المبرد، أبوالعباس محمد بن يزيد(1420هـ –1999م)، الكامل في اللغة والأدب، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ج2ص300.

[13] – محمد حسن شراب، (1415هـ – 1998م)، المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي، ط1، دار القلم ودار الشامية بيروت، لبنان، ج2ص106.

المقاييس الشكلية التى أخذها عمر في تفضيله نصا على نص، أو تقديمه شاعرا على غيره :

1 –سلامة العربية:

فقد كان ذوق عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– مطبوعا على سلامة اللغة الفصحى، وصحتها، يتأفف من اللحن، وينفر منه، و كان اللحن في العبارة كافيا لأن يسقط النص، و يرفضه، بل و يعاقب من يقع منه اللحن[14]. وقد ثبتت المصادر أن عمر –رضي الله عنه– مر على قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا:" إنا قوم متعلمين"، فأعرض مغضبا وقال: " والله لخطؤكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" رحم الله امرأ أصلح من لسانه"[15]، وورد إلى عمر كتاب أوله:" من أبو موسى الأشعري" فكتب عمر لأبي موسى بضرب الكاتب سوطا. والأنكى من ذلك فقد تسرب اللحن إلى قراءة الناس للقرآن الكريم فقد قدم أعرابي في عهد عمر فقال: " من يقرئني شيئا مما أنزل على محمد؟" فأقرأه رجل سورة براءة بهذا اللحن:

" وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسولِه..."[16] بكسر اللام في " رسوله" فقال الأعرابي: " إن يكن الله بريئا من رسوله فأنا أبرأ منه " فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: " يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة... فقص القصة فقال عمر: " وليس هكذا يا أعرابي" فقال:"كيف هي يا أمير المؤمنين؟ " فقال: ... أن الله بريء من المشركين ورسُولُه.." فقال الأعرابي: " وأنا بريء ممن برئ الله ورسوله منهم". فأمر عمر ألا يقريء القرآن إلا عالم باللغة."[17] ولعمر تنسب تلك القولة المأثورة:" تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة"[18].

2 –أنس الألفاظ و البعد عن المعاظلة والتعقيد :

---

[14] – أبو النصر، عمرين الخطاب، ص248.

[15] – إرشاد الأريب إلي معرفة الأديب، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1414 هـ – 1993 م، ج1ص٦٧، والأضداد لابن الأنباري ص244 طبع حكومة الكويت، من طريق في أصول النحو لسعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، ط 1987م، ص7.

[16] – سورة التوبة آية3.

[17] – انظر الخصائص لابن جني ج2ص8.

[18] – إرشاد الأريب، ج1ص77، وفي أصول النحو، ص7و8.

روي أن عمر –رضي الله عنه– كان يقدم زهيرا على بقية الشعراء ويستحسن شعره، و يعلل لهذا الاستحسان بأنه كان لايعقد الكلام، و لا يتبع وحشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه[19].

وهذا الأثر يوضح أصول الشعر الذي يرضى عنه الإسلام وهو الشعر الواضح المعنى، القريب المفردات، الصادق، البعيد عن المبالغة؛ لأن الشعر يدعو إلى قضية، و يخاطب جمهور الناس، ولا بد أن يكون مفهوما، والجدير بالذكر أن علماء البلاغة الذين دونوا أصول هذا العلم فيما بعد لم يخرجوا في مباحثهم عن فصاحة المفرد، و بلاغته، والكلام و فصاحته عما قال عمر بهذا الصدد، اللهم إلا ما اقتضاه التصنيف من منهج، وتنظيم، و تبويب عند بعضهم[20]. ولعل النقاد وضعوا أصولهم للكلام البليغ و الكلمة الفصيحة انطلاقا من هذه المباديء التي مهدها عمر – رضي الله عنه–.

3 –الوضوح و الإبانة :

فقد كتب عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– إلى سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه–:" إنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجتم عليه، والذي استقر عليه أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم و بين المدائن صفة كأني أنظر إليه، واجعلني من أمركم على الجلية[21].

وهذه الكلمة الأخيرة: (واجعلني من أمركم على الجلية) تبين بجلاء إيثار عمر الوضوح، والإبانة في الكلام، كما تصور إيثار الصدق فيه، و هذا مقياس نقدي دقيق .كما كتب إلى قضاته يناشدهم الإيضاح في التعبير عن فهم مسائل القضاء "...الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك"[22] .وقال عن أمر أراد أن يخطب فيه:" وكنت زورت مقالة أعجبتني "[23].

وهكذا يرى عمر: أن الكلمة وسيلة إفهام، وأداة هدى، وبيان، و ليست سبيلا إلى الإغراب والتعمية، ومن ثم أنكر التشادق، والتقعر[24].

---

[19] – نايف، معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة، ج2ص102.

[20] – أبوالنصر، عمر بن الخطاب، ص260.

[21] – محمد حميدالله، (1405هـ – 1985م)، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، ط5، ص414.

[22] - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ج2ص 105.

[23] - العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت– لبنان، بلا تاريخ، ج24ص7.

[24] – أبو النصر، عمر بن الخطاب، ص251.

4 –أن تكون الألفاظ بقدر المعاني:

ومن مأثور كلامه من ذلك قوله :"إياك والمكابلة"[25]. وقال الإمام الدارمي: يعني في الكلام؛ أي:المزايدة فيه، فعمر إذا يريد البعد عن فضول القول؛ لأنه ضياع لمضمون الفكرة، و تبديد لها، ولا يخلو من تكرار ممل، وترداد مكروه، فوق كونه يفقد روعة النص، ويذهب بجماله، قال عمر –رضي الله عنه– :"إن شقائق الكلام من شقائق اللسان، فأقلوا ما استطعتم"[26].

فإن الإطالة في الكلام واللعب بالألفاظ لا تزيد الكلام روعة وبهاء بل بالعكس تؤدي إلى الملل عند القراء والسامعين فمن هنا كان اختيار الأدباء والفصحاء في هذا العصر وبخاصة عند الأشخاص الذواقين كعمر بن الخطاب أن تقل الألفاظ من المعاني من غير أن يخل بالمعاني والمفاهيم.

5 – جمال اللفظة في موقعها :

كان عمر –رضي الله عنه– ينفر من اللفظة التي أقحمت في غير مكانها المناسب، لأنها تشين المعنى، وتذهب برونق الكلام، و بهائه، و من ذلك قوله لسحيم عبد بني الحسحاس بصدد تعقيبه على بيت له، يقول فيه :

عميرة ودعْ إن تجهزت غاديها كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا

فقال عمر: "لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك"، وذلك لأن عمر أدرك بذوقه، الذي صقله الإسلام، ونماه: أن الإسلام في نفس المؤمن أقوى زجرا من قبل الشيب ومن بعده ...وجدير به أن يقدم في النص تمشيا مع أهميتهن وتأثيره في النفوس[27].

6 –حسن التقسيم :

---

[25] – الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد،(1407هـ)، سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، لاط، لات، ج1ص9.

[26] – ابن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني، (1418هـ– 1998م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق:محمد عبدالكريم النمري، ط1، دارالكتب العلمية، بيروت /لبنان، ج3ص113.

[27] – محمد حسن شراب، (1415هـ – 1998م)، المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي، ط1، دار القلم ودار الشامية بيروت، لبنان، ج2ص102.

كما كان عمر يعلن إعجابه الشديد بما في البيت من جمال فني يرضي الأذواق، والعقول على السواء، و يترجم هذا الإعجاب في ترديده البيت ترديدا ينم عن حسن تذوق، وعمق إحساس بما في النص من جمال. ومما يدل على ذلك ما روي من أن عمر أنشد قصيدة عبدة بن الطيب التي أولها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغولُ

فلما بلغ المنشد قوله:

والمرء ساع لأمر ليس يدركه والعيش شح و إشفاق و تاميل

قال عمر متعجبا: والعيش شح، و إشفاق، وتأميل، يعجبه من حسن ما قسم، وما فصل[28].

ولما أنشد عمر قول زهير بن أبي سلمى:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

فذلكم مقاطع كل حي ثلاث كلهن لكم شفاء

فهو يريد: أن الحقوق إنما تصح بواحدة من هذه الثلاث: يمين، أو محاكمة، أو حجة بينة واضحة، وسمي زهير: قاضي الشعراء، بهذا البيت، فكان عمر –رضي الله عنه– يتعجب من معرفة زهير لمقاطع الحق مع أنه جاهلي، و قد جاء الإسلام و أكد تلك المقاطع[29].

مقاييس نقد المعنى:

وهناك مقاييس أخرى كان عمر يؤثرها في مضمون الأدب و يوجه بها الأدباء وجهة جديدة، تنبع من الدين، والخلق، و يمكن أن تضاف إلى المقاييس الفنية السابقة حتى تعطي القارئ تصورا لمقاييس نقد الأدب في عصر عمر ممثلة في تعبيراته و مأثوراته، منها:

1 الصدق في التعبير والحكم:

كان الصدق في ترجمة الخواطر و تصوير العواطف النبيلة مما يستحسنه عمر، و ينال إعجابه، وكان عنصر الصدق هذا جعله يعجب إعجابا شديدا بقصيدة المخبل السعدي، و أمية بن الأسكر الكناني و زهير بن أبي سلمى السابق الذكر .

---

[28] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1ص240.

[29] – واضح الصمد، أدب صدر الإسلام، 96.

2 الجدة والابتكار:

كان عمر – رضي الله عنه– يؤثر في المعنى أن يكون جديدا مبتكرا يناسب الدين و يتمشى مع أخلاقه، وآدابه و أن يصاغ هذا المعنى صياغة محكمة و أن يعبر عنه في تصوير جميل، و بيان حسن.

3 الموائمة للمقاييس الخلقية :

كان عمر– رضي الله عنه– يطلب في المعنى فوق صدقه، و ابتكاره أن يكون موائما لمقاييس الدين الخلقية، بحيث لا يتورط الشاعر أو الناثر في هجاء ذميم، أو سباب فاضح ، أو نهش للأعراض، أو الانكباب على وصف الشراب، و تصوير الخمور، أو غير ذلك مما ينبئ عن ضعف العقيدة، وفساد الخلق، و قد سبق أن ذكرت موقفه من الحطيئة، وسحيم، ومن كان على شاكلتهما من الشعراء[30].

ومما يتصل بنقده هذا ما روي من أن نعمان بن عدي قد عينه عمر على ميسان من أرض العراق، فذهب إليها، و امتنعت زوجته عن أن ترافقه، فأراد أن يبعث في نفسها الرغبة في صحبته بما يعرف عن غيرة النساء، فكتب إليها بأبيات من فضل القول، لا تمثل حقيقة في قليل أو كثير، هي :

فمن مبلغ الحسناء أن حليلها	بميسان يسقي في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقين قريةُ	و صناجة تحدو على كل ميسم
إذا كنت ندماني بالأكبر اسقني	ولا تسقني بالأصغر المتثلم
لعل أمير أمير المؤمنين يسوءه	تنادمنا في الجوسق المتهدم

فلما سمعها عمر؛ قال: وأيم الله لقد ساءني! ثم عزله. ولا غرابة فيما فعل عمر من عزله النعمان؛ لأن النعمان كان أمير قوم، و إمامهم في الصلاة، و قدوتهم في الحياة، وهذا الشعر و إن لم يمثل حياة رجل كان من أهل الهجرة الأولى، لكنه يتعارض مع قيم هذا الدين، وتأباه تعاليمه، ومن ثم رفضه عمر، وعاقب قائله[31].

4– الموضوعية :

---

[30] – أبوالنصر، عمربن الخطاب، ص255– 261.

[31] – المرجع السابق، ص263.

كان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يعتمد على الموضوعية التي تقوم على أسباب جوهرية في الكلام، تصلح أساسا للأحكام، وتصح أن تكون قاعدة و معيارا يقوم الشعر والأدب به، فهو –رضي الله عنه– نظر في الألفاظ و الأساليب والمعاني والمنهج[32]. فقد وضع عمر– رضي الله عنه– أول نواة للنقد الأدبي ومقاييسه تشكل أهم أركان الشعر وهي أساليبه ومعانيه[33]. وبذلك عد العلماء نقد عمر بن الخطاب فلتة سابقة لأوانها في النقد العربي، ونقده كان أول تعليل يتوسع في أسباب الحكم الأدبي ويلم بالناحية الشعورية كالصدق في الإحساس و الصدق في التعبير[34].

5– الانطلاق من روح الإسلام وعقيدته

ومن جانب آخر كانت نظريات عمر النقدية لمضمون الأدب مستمدة من روح الإسلام و قيمه و مصلحة المسلمين، وهو المنهج الذي أرسى قواعده سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– و بهذا كان عمر يمثل بنقده التلميذ النابه لسيدنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيما أرساه لنا من أسس النقد الأدبي الإسلامي و قاس المضمون الأدبي بمقاييس دينية وقيم إسلامية بحتة يحمد منها ما وافق جوهر الإسلام و مبادئه و يذم منها ما خرج على هذه المبادئ، ويتضح هذا المقياس الديني الخلقي في تقدير عمر بن الخطاب لشعر سحيم عبد بني الحسحاس[35]، شعر النجاشي الذي هجا بني العجلان[36]، والحطيئة الذي هجا الزبرقان بن بدر[37].

هذه هي أبرز الملامح و النزعات النقدية التي تميز بها نقد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– والتي تدل على أصالة النقد الأدبي في أطوار نشأته الأولى، كما تبين منزعه، و اتجاهه حيث لم يعتمد على الذوق وحده في تقويم الأدب، والحكم عليه، و إنما جنح إلى لون من الموضوعية الدقيقة في شرح النص، و تبيان جماله، أو قبحه، والتعليل لما يستجاد، أو يستهجن من نماذجه، و سيظل النقد العربي مدينا لعمر ما عاش يتوخى في النص سلامة العربية، و بلاغة عبارتها، واستقلال المعنى بحظه التام من التعبير، وصدق التكوين، و حسن التصوير، و وضوحه. وهذه مقاييس نقدية دقيقة لا يختلف مع عمر فيها ناقد أصيل، و يطول بنا القول لو

---

32 – محمد طاهر درويش، في النقد الأدبي عندالعرب، دارالمعارف، ص87.

33 – طبانة، دكتور بدوي، (لا ت)، دراسات في نقد الأدب العربي، ط مكتبة الأنجلو، ص96.

34 – عبدالرحمن عثمان، معالم النقد الأدبي، ط المدني، ص 120و121.

35 – رفعت زكي، محمود عفيفي(دكتور)، (1990م)، من مظاهر النقد الأدبي عند العرب، ط دارالطباعة المحمدية، ص67.

36 – ابن قتيبة، (1977م)، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط3، بيروت لبنان، ج1ص52.

37 – طبانة، دكتور بدوي، (لا ت)، دراسات في نقد الأدب العربي، ط مكتبة الأنجلو، ج94و95.

استرسلنا في بيان ثقافة هذا الخليفة العظيم، و مقدرته على تذوق الشعر، ونقده و الحكم عليه، فإن ذلك يحتاج إل فصول طويلة .

النقد الأدبي عند أبي بكر الصديق

نقل عن أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– بعض الآراء النقدية منها ما يتصل بنقد المعنى و توجيهه إلى النظرة الإسلامية، و منها ما يتصل بالحكم على الشعراء، ومنها ما يتصل بالنقد اللغوي أو إصلاح اللغة واللسان.فمن الأمثلة يروى أن لبيد الشاعر المخضرم قرأ على أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– بيت شعر فقال:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال أبوبكر: صدقت. فلما قال:

وكل نعيم لا محالة زائل .

قال: كذبت، عند الله نعيم لايزول[38].

وهذا يدل على أن أبي بكر –رضي الله عنه– كان خبيرا بفنون الشعر وأن ملاحظاته كانت تتوافق و الفكرة الإسلامية التي طالما كان النبي –صلي الله عليه وسلم– يؤكد عليها، وهذا دليل واضح على أن الإسلام لم يكن يهدم الشعر جملة بل يهدم الشعر الذي يخالف مبادئ الدين وأخلاقياته ويتعرض لحرمات الإسلام والمسلمين.

ومن آرائه النقدية فيما يتصل بالحكم على الشعراء رأيه في النابغة حين يفضله على شعراء عصره قائلا ":هو أحسنهم شعرا، و أعذبهم بحرا، و أبعدهم قعرا"[39].

في رأي أبي بكر الصديق —رضي الله عنه – النقدي نوع من الحكم المجمل والعام كالأسلوب العام الشائع للنقد الأدبي في عصره و مع ذلك نجد في هذه العبارات الموجزة سمة مركزة فهو يعد العمق سببا في المقارنة والمفاضلة. فإنه في هذا الحكم ينفذ إلى العمق فيلمس أثرا للفكر والعقل في المعنى والصورة، فلا جدال

---

[38]- المرز باني، (بلات)، الموشح، تحقيق محمد علي البجاوي، ط نهضة مصر، ص97، والبيان والتبيين للجاحظ ج1ص91.

[39] - ابن رشيق القيرواني، العمدة ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد، ط دارالتراث العربي، بيروت بلا ت، ج1ص 95.

في أنه كان متأثرا بنظم القرآن الكريم و ما جاء به من معان بعيدة عن التقرير وبجميل إيقاعه الصوتي الذي يحدث أوقع الأثر في النفوس[40].

وحسن الكلام يثبت بالتوفيق بين جمال اللفظ وجمال التركيب وعمق المعنى، فإن الأدب والشعر يشبهان الإنسان؛ وإن الإنسان مهما مني بجمال المنظر والهيئة والصورة فإن لم يكن به عقل رزين فلا يقدره الناس ولا يعطون له وزنا حقيقيا وإن كان عقله كبيرا ولم يكن يحظ بصورة جميلة وجسم قوي مستقيم سليم، فلا يهتم به الناس كذلك إلا قليلا ولكن الناس يقيمون الوزن الحقيقي الكامل لمن كان له نصيب وافر من الجسم القوي والصورة الجميلة مع العقل الرزين الوافر.

وأما نقده اللغوي فهو يقوم بتصحيح اللغة، فقد روي أن أبابكر رضي الله عنه سأل رجلا يبيع الثياب فقال: أتبيعني هذا الثوب يا رجل؟ قال الرجل: لا عفاك الله . ففطن أبوبكر رضي الله عنه إلى هذا الاستعمال اللغوي الذي قرره البلاغيون فيما بعد في موضوع الفصل والوصل...حيث أوجبوا الفصل بالواو في مثل هذه المسألة لأن "لا "تتضمن جملة خبرية مضمونها(لا أبيعك هذا الثوب) والجملة الثانية: دعائية وهي (عافاك الله) وهذا التعقيد اللغوي يرتبط بالمعنى، إذ يحتمل أن يكون النفي منصبا على الجملة الدعائية، فيكون دعاء عليه لا له. وقد أدرك ذلك أبوبكر قبل أن يضع البلاغيون قواعدهم لأن الحس اللغوي كان قويا لديه رضي الله عنه[41].

النقد الأدبي عند عثمان بن عفان:

كان عثمان بن عفان –رضي الله عنه– متذوقا للشعر و كان ينظر فيه وينقده و يذكر السبب و يعلل لحكمه. فقد أنشد أمامه قول زهير بن أبي سلمى :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فأعجب عثمان –رضي الله عنه– بهذا البيت و بصواب معناه فقال :أحسن زهير وصدق، فلو أن رجلا دخل بيتا في جوف الليل لتحدث به الناس.

---

[40] - صلاح الدين، دكتور محمد عبدالتواب(1981م)، موقف الإسلام من الشعر، ط مطبعة السعادة، مصر، ص113 .

[41] - مصطفى إبراهيم، (دكتور)،(1419هـ – 1998م)، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، ص89.

النقد الأدبي عند علي بن أبي طالب :

أكرم الله تعالى عليا بن أبي طالب –رضي الله عنه– بموهبة نقدية وأدبية راقية تهديه إلى التذوق و التفسير و تعينه على التقدير والتقويم، وكان صاحب ذوق مصفى هداه لإدراك الجمال الفني و معرفة أسبابه مما أدى إلى ظهور بعض النظرات النقدية في تراثه الأدبي و كانت محل إعجاب و تقدير من النقاد العرب .

فقد روى ابن رشيق القيرواني أن عليا –رضي الله عنه– قال:"الشعر ميزان القول، ورواه بعضهم :" الشعر ميزان القوم". أي :أن للشعر خصائص فنية يعرف بها صحيح القول من سقيمه في مقاييس أهل هذا الفن الكلامي، وإن خالف في أغراضه قيم قوم آخرين[42].

فهذه العبارة تضعنا أمام نظرة نقدية لعلي –رضي الله عنه– الذي كان يزن الشاعر بما يتميز به من فكر ورأي، وما يصدر عنه من عبارة و كان يقول : " قيمة كل شيء ما يحسنه"[43]. وعد حسن القول بما يحمل من معنى راق و فكر دقيق، و أسلوب فصيح[44].

يقول العقاد: إن نقد علي للشعراء كان نقد عليم بصير، يعرف اختلاف مذاهب القول، و اختلاف وجوه المقابلة، و التفضيل على حسب المذاهب[45].

والذي يؤكد كلام العقاد ما ورد عن الإمام علي أن ميزان المفاضلة بين شاعر و شاعر لا تجوز إلا بين المتعاصرين، يقول: لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجروا معا علمنا من السابق منهم، و إذ لم يكن فالذي لم يقل لرغبة و لا لرهبة، فقيل: و من هو؟ فقال: الكندي، قيل: ولم؟ قال: لأني رأيته أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة[46].

ويبدو الجديد في نظرة علي –رضي الله عنه– إلى أن الشعر ...فالتفاضل لا يجري إلا بين الشعراء الذين عاشوا في عصر واحد، و لايتم ذلك على وجه الدقة إلا إذا نصبنا لهم راية واحدة ليجروا نحوها، وكأنه هنا يشترط وحدة الموضوع الشعري للمتسابقين من الشعراء، وبذلك يضع للمفاضلة شرطين: المعاصرة ووحدة

---

[42] - الصلابي، الدكتور علي محمد محمد(1430هـ – 2009م)، علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ص278.

[43] - التوحيدي، أبوحيان علي بن محمد بن العباس،(1419هـ– 1999م)، البصائر والذخائر، تحقيق الدكتور وداد القاضي، ط4، دارصادر، لبنان/لبنان، ج2ص14.

[44] - رفعت زكي، محمود عفيفي(دكتور)، (1990م)، من مظاهر النقد الأدبي عند العرب، ط دارالطباعة المحمدية، 87.

[45] - العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام، ط دار المعارف، ص139.

[46] - ابن رشيق القيرواني، العمدة ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد، ط دارالتراث العربي، بيروت بلا ت، ج1ص 41و42.

الموضوع، وإذا كان لابد من المفاضلة بين الشعراء القدامى و تعذرت شروطها فأفضلهم من لم يقل لرغبة و لا لرهبة، أي أن أفضلهم من فاض الشعر من روحه وفيض نفسه، كالنبع الفياض الذي يتفجر الماء من أعماقه فيسير رقراقا، يعطي ويسقي عطاء تلقائيا، وإنها نظرة مبتكرة في تقديم التلقائية و الطبع على الصنعة والتعمل[47].

أعتقد أن عليا –رضي الله عنه– بطرحه هذه الشروط الثلاثة في الحكم على الشعر والشعراء قدم أدق القواعد النقدية وهي وحدة الموضوع ووحدة العصر والصدق الفني الذي يفهم من سياق الكلام و إلى يومنا هذا يؤكد النقاد الكبار على هذه المعاني بجانب الشروط والقواعد النقدية الأخرى ولم يهدم أحد منهم هذه الأصول.

نتيجة البحث :

أخيرا نسجل أهم النتائج التي توصلنا إليها خلال الدراسة في البحث حسب الآتي:

(1) إن الأدب و النقد كان موضع اهتمام جاد في عهد الخلفاء الراشدين بشكل عام وعند هؤلاء الخلفاء بشكل خاص .

(2) وكان أكثر الخلفاء اهتماما بسماع الشعر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان مهتما به قبل اعتناقه الإسلام و بعد اعتناقه له وحتى أيام خلافته أيضا كان يهتم به أيما اهتمام .

(3) فضلا عن اهتمام الخلفاء الراشدين بالشعر كانوا يعطون الصلات على الأشعار الجيدة حيث روي عن بعضهم أنه أعطى شاعرا صلة على قوله الشعر الحسن .

(4) كان عند الخلفاء الراشدين و بخاصة عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و علي بن أبي طالب رضي الله عنهما موازين شكلية و معنوية يزنون الأشعار بها و يفضلون بها بين الشعراء .

(5) كان بعض الخلفاء الراشدين يزاولون قراءة الشعر ويتمثلون به بل ويأمرون الآخرين بقراءة الشعر وروايته ويقيمون مجالس الشعر.

(6) كان من أهم موازين قبول الشعر وجودته عندهم توافق مضمون الشعر مع القيم الإسلامية النبيلة ومبادئ العقيدة الإسلامية الصحيحة.

---

[47] - الغول، أحمد فؤاد(دكتور)، الشعر في الإسلام، ط دار لوران للطباعة والنشر، الإسكندرية– مصر، ص53.

(7) إن الموازين النقدية الأدبية التي طرحها الخلفاء الراشدون في عهدهم صارت المادة الأولية للنقد الأدبي في العصور القادمة إلى العصر الحديث .

المصادر والمراجع :

(1) ابن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني، (1418هـ- 1998م)، شرح نهج البلاغة ، شرح نهج البلاغة، تحقيق :محمد عبدالكريم النمري، ط1، دارالكتب العلمية، (- بيروت /لبنان .)

(2)ابن رشيق القيرواني، العمدة ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد، ط دارالتراث العربي، بيروت بلا ت.

(3)ابن قتيبة، (1977م)، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط3، بيروت لبنان.

(4)أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – 1417 هـ – 1997م، تحقيق: دكتور يوسف على طويل، ط1.

(5) أبوالنصر، محمد أحمد، (1411هـ – 1991م) عمر بن الخطاب، دار الجيل، بيروت لبنان.

(6) التوحيدي، أبوحيان علي بن محمد بن العباس،(1419هـ- 1999م)، البصائر والذخائر، تحقيق الدكتور وداد القاضي، ط4، دارصادر، لبنان/لبنان.

(7)الجاحظ، أبوعثمان عمروبن بحر، (1968م) البيان والتبيين، ط1، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت لبنان.

(8)الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد،(1407هـ)، سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، لاط، لات.

(9) رفعت زكي، محمود عفيفي(دكتور)، (1990م)، من مظاهر النقد الأدبي عند العرب، ط دارالطباعة المحمدية .

(10) سعيد الأفغاني، أصول النحو ، المكتب الإسلامي، ط 1987.

(11) السمعاني، عبيدالكريم بن محمد بن منصور أبوسعد التميمي، (1401هـ - 1981م)، إدب الإملاء والاستملاء، ط1، تحقيق: ماكس فايسفايلر، دارالكتب العلمية، – بيروت، لبنان.

(12) السيد أحمد الهاشمي (2014م)، جواهر الأدب، دار مكتبة المعارف، بيروت– لبنان.

(13) طبانة، دكتور بدوي، (لا ت)، دراسات في نقد الأدب العربي، ط مكتبة الأنجلو.

(14) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبوالقاسم(1404هـ - 1983م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق.

(15) الصلابي، الدكتور علي محمد محمد(1430هـ - 2009م)، علي بن أبي طالب شخيته وعصره، دار ابن كثير، دمشق، سوريا.

(16) صلاح الدين، دكتور محمد عبدالتواب(1981م)، موقف الإسلام من الشعر، ط مطبعة السعادة، مصر .

(17) عبدالرحمن عثمان، معالم النقد الأدبي، ط المدني.

(18) العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام، ط دار المعارف.

(19) العقاد، عباس محمود، عبقرية عمر، المكتبة العصرية، بيروت، لا ت.

(20) **العيني**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي — بيروت– لبنان، بلا تاريخ.

(21) الغول، أحمد فؤاد(دكتور)، الشعر في الإسلام، ط دار لوران للطباعة والنشر، الإسكندرية– مصر.

(22) المبرد، أبوالعباس محمد بن يزيد(1420هـ -1999م)، الكامل في اللغة والأدب، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

(23) مصطفى إبراهيم، (دكتور)،(1419هـ - 1998م)، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة .

(24) محمد حسن شراب، (1415هـ - 1998م)، المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي، ط1، دار القلم ودار الشامية بيروت، لبنان.

(25) محمد حميدالله، (1405هـ - 1985م)، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، ط5.

(26) محمد طاهر درويش، في النقد الأدبي عندالعرب، دارالمعارف.

(27) المرز باني، (بلات)، الموشح، تحقيق محمد علي البجاوي، ط نهضة مصر.

(28) واضح الصمد، (الدكتور)، أدب صدر الإسلام، لا ط، لا ت.

(29) نايف، معروف (الدكتور)، الأدب الإسلامي في عهد النبوة، دار النفائس، بيروت، لبنان، بلا تاريخ .

(30) ياقوت الحموي، أبوعبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي، إرشاد الأريب إلي معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1.

ومن الله التوفيق